

سلسلة

الخلفيات العلمية (١)

للشيخ الدكتور محمد بن عمر بازمول

حفظه الله ورعاه

جمعها ورتبها:

د. أبو إسماعيل إبراهيم بن محمد ابن كشيدان

١٤٣٦ هـ



سلسلة

الخلفيات

العلمية (1)



سلسلة

الخلفيات العلمية (١)

للشيخ الدكتور

محمد عمر بازمول

حفظه الله ورعاه

جمعها ورتبها:

د. أبو إسماعيل إبراهيم بن محمد ابن كشيدان

١٤٣٦هـ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد، فهذه درر مليحة وفوائد صحيحة من مختارات الشيخ الدكتور محمد عمر بازمول حفظه الله ورعاه وهي عبارة عن سلاسل ذهبية وحلقات منهجية، اقترح بجمعها وترتيبها وتنسيقها شيخنا محمد عمر بازمول، فسررت بهذا الاقتراح واستعنت بالله في ذلك، فقمت بتتبع كل ما نشره الشيخ على صفحته، وجعلت كل سلسلة في كتاب مستقل، وجعلت تخريج

الأحاديث والأقوال في هامش الكتاب. وهذي السلسلة العاشرة: (الخلفيات العلمية ١).

والله أسأل أن ينفع بها الشيخ الدكتور محمد عمر بازمول وجامعها إبراهيم بن محمد كشيدان، وكل من قرأها واطلع عليها، ونشرها، وأن تكون خالصة لوجهه الكريم. آمين.

كتبه:

أبو إسماعيل إبراهيم بن محمد كشيدان

خلفية علمية (١)

قاعدة أهل السنة في ذكر مسائل العقيدة في كتب السنة، أن يذكروا المسائل التي خالف فيها أهل البدعة.

ولذلك لو كتب اليوم أحد كتاباً في مسائل العقيدة ستراه يذكر البدع التالية وينبه على مخالفتها لما عليه أهل السنة والجماعة:

* الأحزاب والجماعات.

* الاشتراكية.

* الرأس مالية.

* العلمانية.

* الليبرالية.

* الديمقراطية.

* الانتخابات.

وسيذكر من الفرق:

* فرقة الإخوان المسلمين.

* جماعة التبليغ.

* جماعة الأحباش.

* حزب التحرير.

* السرورية.

* القطبية.

* جماعة التكفير والهجرة.

* ونحوها من الفرق والأحزاب.

خلفية علمية (٢)

يعبر أهل السنة عن مسائل العقيدة، بعبارات تقابل البدع الحادثة؛ ليحصل التمايز بين الحق والباطل.

فمثلاً لمّا لم يكن إلا إسلام وكفر، كان اسم الإسلام كافيا في تمييز المسلم عن غيره.

ولما حدثت البدعة صار تمييز أهل السنة عن أهل البدعة، باسم السنة.

ولما حدثت بدعة أهل الرأي، حصل التمايز بالانتساب إلى أهل الحديث؛ فأهل السنة أهل الحديث.

ولما حدثت فرق بدعية تنتسب إلى السنة، صار التمييز بالانتساب إلى السلف.

فصار الرجل يقول هو مسلم سني سلفي.

بل حتى عبارتهم عن مسائل العقيدة، صاروا يضيفون فيها ألفاظاً تغلق الباب وتدرأ فتنة ألبدعة، فالله مستو على عرشه فوق سماواته، وهو قريب من المحسنين من غير ممازجة ولا حلول. فأضافوا كلمة (بغير ممازجة و لا حلول) ليغلقوا الباب على أهل الوحدة والحلول.

وهكذا تجدون عبارات أهل السنة تحمل من البيان الكاشف لبدعة أهل الضلال في كل وقت بما يناسبه والله الموفق.

خلفية علمية (٣)

مبادئ العلوم وهي:

الحد.

الاسم.

الموضوع.

المسائل.

الاستمداد.

حكم الشارع.

الفضل.

الثمرة.

النسبة.

الواضع.

وهي عشرة، ويمكن دمج بعضها في بعض فتصير:

الاسم.

الحد والموضوع.

المسائل.

الثمرة والفضل.

حكم الشارع.

الواضع.

الاستمداد.

النسبة.

من أهم ما يميز كل علم عن الآخر، فلا ينبغي أن يستهان بها.

خلفية علمية (٤)

على الطالب أن يحرص على التمييز والتفريق بين مسائل العلم المشتركة بين العلوم؛ فيعرف وجه الفرق بين تناول المسألة في هذا العلم عنه في العلم الآخر.

فمثلاً معاني الألفاظ في علم اللغة، ومعاني الألفاظ في القرآن الكريم.

والفرق بين تناول غريب الحديث لألفاظ الحديث وبين تناول ألفاظ الحديث في شرح الحديث.

والفرق بين المعنى في اللغة والمعنى في المراد في الحديث!

خلفية علمية (٥)

على المصنف في العلوم، إذا حصل نوع تداخل بين أنواع العلم أن يحرص على تمييزها وكشف محل التداخل وإظهار الفرق بينهما.

وقد تتمايز الأنواع حتى تتباين تماماً.

وقد تتداخل حتى يكاد يكون الفرق بينهما مستعصياً.

وقد تتداخل ويمكن التفريق بينها.

فمثلاً:

الفرق بين الصحيح والضعيف. ما أوضح ما يكون فالعلاقة تباين.

الفرق بين الحسن والصحيح، بينهما عموم وخصوص فكل صحيح هو حسن، وليس كل حسن هو صحيح، ولذلك يصح الجمع بينهما، فتقول: حسن صحيح. والفرق بينهما كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله هو في ضبط الراوي ففي الصحيح أكثر من الحسن.

الفرق بين عموم الشمول وعموم الصلاحية.

الفرق بين المتوطئ اللفظي والمشكك اللفظي.

الفرق بين السفر والإقامة.

الفرق بين الطلاق المعلق والطلاق المنجز.

الفرق بين الطلاق الرجعي والطلاق المبتوت.

الفرق بين المغفرة والتكفير.

خلفية علمية (٦)

مراعاة قرائن الحال، المعروف أن ذلك في فهم نصوص الوحي، والذي أريد إضافته هنا: مراعاة ذلك في تنزيل كلام العالم في فتواه أو كتابه.

فتعرف متى صنف العالم كتابه؟

وما هو موقعه الترتيبي الزمني بين مؤلفاته الأخرى؟

وما الباعث له على تصنيفه؟

ولماذا سلك هذا المنهج في التأليف والتصنيف دون غيره؟

وما هي الأمور المساعدة والمعينة على فهم مراده على وجهه؟

فقد حصلت مشاكل بسبب عدم مراعاة ذلك في تنزيل كلام العالم في فتواه أو كتابه!

ومن أشهر أمثلة ذلك: رسائل أئمة الدعوة النجدية (الدرر السنية)، ونبه على ذلك الشيخ عبدالله العنقري -رحمه الله- في رسالة مفردة، موجودة ضمن الدرر السنية، وقد طبعتها مفردة، ولله الحمد.

خلفية علمية (٧)

على طالب العلم أن يعلم أن كل العلوم الشرعية وما يتعلق بها كانت موجودة لدى الصحابة والتابعين سليقة بدون تكلف أو مصطلحات.

قد تستغرب... ولكن هذه هي الحقيقة...

خذ مثلاً:

كل ما يتعلق بالأدلة الإجمالية، وكيفية الاستنباط منها، وحال الناس معها، وهذه أركان أصول الفقه.

كانت معروفة عند الصحابة بدون أن تكون المسميات

الاصطلاحية متداولة بينهم، فكانوا يراعون دلالة العام، ودلالة المطلق،

والمفهوم، والنص، والظاهر، والإشارة، وكل ما يتعلق بدلالات الألفاظ،

وهذا الأمر هو الآلة المعينة على الاستنباط.

وكانوا يعرفون الأدلة الإجمالية، من قرآن وسنة وقياس وإجماع، وهذا الأدلة المتفق عليها، بل ويعرفون الأدلة المختلف فيها.

ويطبقون كل ذلك، ولكن بغير أسمائه المعروفة اصطلاحيًا عند الأصوليين، وأحياناً بأسمائه، ولكن ليس بالمعنى الأصولي الاصطلاحي

بالضبط، كالنسخ مثلاً.

خذ مثلاً:

علم التجويد، كان الصحابة يقرأون القرآن مجوداً.

فيطبقون قاعدة الإظهار.

ويطبقون قاعدة الإدغام.

ويطبقون قاعدة الإخفاء.

ويطبقون قاعدة الإقلاب.

ويطبقون صفات الحروف من قلقلة، وصفير، وهمس، واستطالة، واستعلاء، وتفشي، وغنة، وغيرها، ولكن بغير المسميات الاصطلاحية.

وخذ مثلاً:علم النحو والصرف... فكانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول، ويثبتون أحكام (أن) وأخواتها، وأحكام (كان) وأخواتها، والمبتدأ والخبر، ونائب الفاعل، والجزم وأحكامه، ولكن بدون تخصيص هذه الأسماء الاصطلاحية أو ضبط القواعد المرعية.

وهكذا... والله الموفق.

خلفية علمية (٨)

مما يعين على فهم كلام العالم، معرفة مذهبه الفقهي، ومنهجه العقدي؛. ولذلك من المفيد قراءة ترجمة العالم صاحب الكتاب الذي تقرأه.

والوقوف على أحداث العصر الذي عاش فيه، ومدى تأثيرها على علماء ذلك العصر.

خلفية علمية (٩)

من العلماء من يغلب عليه اتباع الرأي واستعمال العقل.

ومن العلماء من يغلب عليه اتباع الحديث والاثر، ونعم وزير الحديث الأثر.

وليس كل ما يقوله من غلب عليه الرأي مردود.

وليس كل ما يقوله من غلب عليه الحديث والأثر مردود.

بل العبرة بالدليل.

خلفية علمية (١٠)

منهج الفقهاء والأصوليين في ثبوت الحديث يختلف عن منهج المحدثين.

والعلاقة بينهما علاقة تكامل.

فإن علماء الفقهاء هم أئمة المذاهب الأربعة. وهم علماء وأئمة أهل الحديث.

خلفية علمية (١١)

كلما زاد علمك اتسع أفقك، وعذرت غيرك، وانتبهت إلى قصورك.

هذه القضية محلها في المسائل الاجتهادية، في دائرة السنة،

ومثلها: اختلافنا في الرأي لا يفسد للود قضية.

قال أبو المظفر السمعاني، ونقله عنه ابن القيم والشاطبي دون التصريح باسم السمعاني: «وَكَانَ السَّبَبُ فِي اتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ أَخَذُوا الدِّينَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَطَرِيقِ النَّقْلِ، فَأَوْرَثَهُمُ الِاتِّفَاقَ وَالِائْتِلَافَ، وَأَهْلُ الْبِدَعِ أَخَذُوا الدِّينَ مِنْ عُقُولِهِمْ فَأَوْرَثَهُمُ التَّفَرُّقَ وَالِاخْتِلَافَ، فَإِنَّ النَّقْلَ وَالرِّوَايَةَ مِنَ الثِّقَاتِ وَالْمُتْقِنِينَ قَلَّمَا تَخْتَلِفُ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ فِي لَفْظِهِ أَوْ كَلِمِهِ فَذَلِكَ الِاخْتِلَافُ لَا يَضُرُّ الدِّينَ وَلَا يَقْدَحُ فِيهِ، وَأَمَّا الْمَعْقُولَاتُ وَالْخَوَاطِرُ، وَالْآرَاءُ فَقَلَّمَا تَتَّفِقُ، بَلْ عَقْلُ كُلِّ وَاحِدٍ وَرَأْيُهُ وَخَاطِرُهُ يُرِي صَاحِبَهُ غَيْرَ مَا يُرِي الْآخَرَ.

قَالَ: وَبِهَذَا يَظْهَرُ مُفَارَقَةُ الِاخْتِلَافِ فِي مَسَائِلِ الْفُرُوعِ اخْتِلَافَ الْعَقَائِدِ فِي الْأُصُولِ، فَإِنَّا وَجَدْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهُمُ اخْتَلَفُوا بَعْدَهُ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ، فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا وَلَمْ يَكُونُوا شِيَعًا، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُوا الدِّينَ، وَنَظَرُوا فِيمَا أُذِنَ لَهُمْ فَاخْتَلَفَتْ أَقْوَالُهُمْ وَآرَاؤُهُمْ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ كَمَسْأَلَةِ الْجَدِّ وَالْمُشْرِكَةِ، وَذَوِي الْأَرْحَامِ وَأُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَصَارُوا بِاخْتِلَافٍ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَحْمُودِينَ، وَكَانَ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الِاخْتِلَافِ رَحْمَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ

حَيْثُ أَيَّدَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالْيَقِينِ، ثُمَّ وَسَّعَ عَلَى الْعُلَمَاءِ النَّظَرَ فِيمَا لَمْ يَجِدُوا حُكْمَهُ فِي التَّنْزِيلِ وَالسُّنَّةِ، وَكَانُوا مَعَ هَذَا الِاخْتِلَافِ أَهْلَ مَوَدَّةٍ وَنُصْحٍ، وَبَقِيَتْ بَيْنَهُمْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ عَنْهُمْ نِظَامُ الْأُلْفَةِ، فَلَمَّا حَدَثَتْ هَذِهِ الْأَهْوَاءُ الْمُرْدِيَةُ الدَّاعِيَةُ أَصْحَابَهَا إِلَى النَّارِ وَصَارُوا أَحْزَابًا انْقَطَعَتِ الْأُخُوَّةُ فِي الدِّينِ وَسَقَطَتِ الْأُلْفَةُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّنَائِيَ، وَالْفُرْقَةَ إِنَّمَا حَدَثَ فِي الْمَسَائِلِ الْمُحْدَثَةِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا الشَّيْطَانُ أَلْقَاهَا عَلَى أَفْوَاهِ أَوْلِيَائِهِ لِيَخْتَلِفُوا وَيَرْمِيَ بَعْضُهَا بَعْضًا بِالْكُفْرِ، فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَخَاضَ فِيهَا النَّاسُ وَاخْتَلَفُوا، وَلَمْ يُورِثْ هَذَا الِاخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ عَدَاوَةً وَلَا نَقْصًا وَلَا تَفَرُّقًا، بَلْ بَقِيَتْ بَيْنَهُمُ الْأُلْفَةُ وَالنَّصِيحَةُ وَالْمَوَدَّةُ، وَالرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ، عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِسْلَامِ يَجُوزُ النَّظَرُ فِيهَا، وَالْآخَرُ يَقُولُ مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ مَا لَا يُوجِبُ تَبْدِيعًا وَلَا تَكْفِيرًا كَمَا ظَهَرَ مِثْلُ هَذَا الِاخْتِلَافِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَعَ بَقَاءِ الْأُلْفَةِ وَالْمَوَدَّةِ، وَكُلُّ مَسْأَلَةٍ حَدَثَتْ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا فَأَوْرَثَ اخْتِلَافُهُمْ فِي ذَلِكَ التَّوَلِّيَ وَالْإِعْرَاضَ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ، وَرُبَّمَا ارْتَقَى إِلَى التَّكْفِيرِ، عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَجْتَنِبَهَا وَيُعْرِضَ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا.

إِنَّ لِلَّهِ -تَعَالَى- شَرْطًا فِي تَمَسُّكِنَا بِالْإِسْلَامِ أَنْ نُصْبِحَ فِي ذَلِكَ إِخْوَانًا، فَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾»اهـ[١].

(١) الاعتصام للشاطبي ص٤٥٣، ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (ص: ٦٠٣).

خلفية علمية (١٢)

مما يعينك في التعلم أن تجعل لك أصلاً في كل علم ترجع إليه أولاً؛ أو عند الاستعجال، فمثلاً:

تجعل لك في التفسير كتاب البغوي.

تجعل لك في مصطلح الحديث تدريب الراوي.

تجعل في العقيدة شرح الطحاوية لابن أبي العز.

تجعل في الحديث بلوغ المرام، أو جامع الأصول.

تجعل لك في اصول الفقه كتاب اللمع للشيرازي.

هذه الطريقة تنفعك، بحيث إنك تتمرس على الكتاب وعلى طريقته وتفهمه وتستوعبه، ثم تنظر في الزائد عليه عند الحاجة.

خلفية علمية (١٣)

علم الحديث، وعلوم الحديث، و مصطلح الحديث.

كلها أسماء لعلم واحد.

والسؤال لماذا اختص هذا العلم بتسميته بعلم (المصطلح) دون غيره مع العلوم، مع أن جميع العلوم فيها اصطلاحات؟

والجواب فيما يظهر لي والله أعلم:

أن هذا العلم اختص بذلك؛ لأن لكل عالم وإمام من علماء الحديث مصطلحه الخاص، وألفاظه الخاصة في الجرح والتعديل، وعبارته الخاصة في التعبير عن المسألة.

هذا الواقع لا يوجد في غير هذا العلم لذلك سمي بعلم المصطلح.

فيجد الناظر في علوم الحديث أن أئمة الحديث كانوا يتكلمون على الرواة والأحاديث دون اصطلاح عام يسيرون عليه، بل كان لكل واحد منهم ألفاظه وعباراته الخاصة يعبر بها عما يريد بيانه من أوصاف الرواة والأحاديث، فتجد المعنى الحديثي الواحد يعبر عنه كل إمام بعبارته، وقد تتشابه الألفاظ والعبارات وقد تختلف!

هذا الواقع أوجد صعوبة وغموضاً في هذا العلم، سواء في جانب عبارات الجرح والتعديل، أم في أوصاف الحديث؛ إذ تنوع الألفاظ على وصف الحديث يضفي غموضاً يصعب معه فهم العلم!

وقد قال ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) -رحمه الله -: «ومذاهب النقاد للرجال غامضة مختلفة»اهـ[١].

وقال الذهبي (ت٧٤٨هـ) -رحمه الله-: «نحن نفتقر إلى تحرير عبارات التعديل والجرح وما بين ذلك من العبارات المتجاذبة. ثم أهم من ذلك أن نعلم بالاستقراء التام: عُرْف ذلك الإمام الجهبذ، واصطلاحه، ومقاصده بعباراته الكثيرة»اهـ[٢].

ولعل من أهم الأسباب القاضية بهذا الغموض وعدم وجود الاصطلاح العام عند المتقدمين من أهل الحديث: هو النسبية؛ إذ لكل حديث نظر خاص، وذوق خاص، وحيثياته الخاصة، فتجري عبارة الإمام بما يطابق حال الحديث على الخصوص، مما يجعل أخذها مأخذ القاعدة العامة والاصطلاح العام غير مطابق للواقع!

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) -رحمه الله-: «لكل حديث ذوق ويختص بنظر ليس للآخر»اهـ[٣].

قال ابن رجب (ت٧٩٥هـ) -رحمه الله-: «وأمّا أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث إذا انفرد به واحد وإن لم يرو الثقات خلافه: «إنه لا يتابع عليه». ويجعلون ذلك علة فيه، اللهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشتهرت عدالته وحديثه كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون تفردات الثقات الكبار أيضاً! ولهم في كل حديث

(١) علوم الحديث/ العتر/ ص١٠٧.
(٢) الموقظة ص٨٣.
(٣) علم الحديث لابن تيميه ص٣٩.

نقد خاص، وليس لذلك ضابط يضبطه»اهـ[1].

(١) شرح علل الترمذي لابن رجب (٢/ ٥٨٢).

خلفية علمية (١٤)

كل ما يقال عن القرآن العظيم يقال عن الحديث النبوي إلا ما استثناه الدليل.

لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه».[١].

فكل علوم القرآن يأتي مثلها في الحديث إلا ما خصه الدليل بالقرآن.

وهذا باب لم يستكمل:

كتبوا في أسباب ورود الحديث.

وكتبوا في مشكل ومختلف الحديث.

وتبقى أبواب كثيرة يمكن الكتابة فيها.

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٥/٢٣٧٨، ١٦٧٢٢.

خلفية علمية (١٥)

لا فرق ولا خلاف بين أصول الفقه عند المحدثين وعند أئمة الفقهاء على العموم.

لكن لما كتب المتكلمون برزت أوجه خلاف محصورة، والحمد لله وهي ليست فقط مخالفة لمنهج المحدثين بل هي مخالفة أيضا لأئمة الفقه وهي الفروق التالية:

- ترتيب الأدلة. يرجع إلى الأدلة الإجمالية والمختلف فيها.

- القول بالمجاز. يرجع إلى دلالات الألفاظ في مباحث الاستنباط.

- أسباب التضعيف والتعليل للحديث. يرجع لدليل السنة (الحديث) وهو من الأدلة الإجمالية.

- الترجيحات والاختيارات في بعض المسائل.

وما عدا هذا فلا اختلاف بين المحدثين والفقهاء في أصول الفقه.

وإذا كانت أركان أصول الفقه ثلاثة:

- الأدلة الإجمالية.

- طرق الاستنباط منها.

- حال المستفيد معها.

فكل هذا من حيث الإجمال متفق عليه بينهم.

والمخالفة فقط فيما تقدم.

والله الموفق.

خلفية علمية (١٦)

مراعاة التخصص مطلوب وهو في مواضع منها:

- في كلام العالم في تخصصه وفي غير تخصصه. وفيه قال ابن حجر كلمته: «إذا تكلم الرجل في غير فنه جاء بالعجائب».

- في اختلاف كلام علماء الجرح والتعديل في الراوي فيقدم كلام بلدي الرجل على غيره. وفيه يقال: «بلدي الراوي أدرى به من غيره».

- في اختلاف كلام العالم واختياره في المسألة فكلامه في مظانه عنها مقدم على كلامه عنها في غير مظانه. وهذا موضوع كتب (خبايا الزوايا). وليست كلها من هذا الباب.

خلفية (١٧)

يعتني العلماء بعناوين كتبهم وغالبا تدل على شرطهم في الكتاب.

وقد تأملت فيها فوجدت عجبا.

انظر أسماء الكتب الستة ودلالتها على شرط أصحابها.

انظر إلى أسماء كتب غيرهم تجد ذلك.

فلا يفوتك تأمل عناوبن الكتب ومقاصد المصنفبن فيها.

خلفية علمية (١٨)

ينبغي للطالب أن يحسن الظن بأهل العلم ولا يتعجل بنسبتهم إلى القصور.

فإن الأصل أنهم أعلم وأتقى ويرجون رضا الله ويخافون غضبه.

فلا تسئ الظن.

واحمل كلامهم على أحسن المحامل.

وقدم الاعتذار لهم.

بل واتهم نفسك أمام اختيارهم.

يذكر عن الشيخ ابن باز -رحمه الله- أنه كان أثناء رئاسته للمجالس العلمية إذا خالف أحد العلماء في المجلس ما عليه أكثرهم يقول له: راجع بارك الله فيك واتهم نفسك.

خلفية علمية (١٩)

كتب الردود إذا كانت من عالم بالسنة فإنها نفيسة جداً؛ لأنه بضددها تتميز الأشياء، فلما يورد العالم القول ويرد عليه يتميز عند القارئ الصواب والخطأ.

ولأن العالم من أهل السنة يوضح القواعد المرعية عند أهل السنة في هذا الباب، والذي أوقعت مخالفته في هذه الأخطاء. وهذه فائدة نفيسة يقتنصها القارئ بأدنى جهد.

ولأن العالم من أهل السنة قد يبين أصل الموضوع والصواب فيه، فيحظى القارئ بالوقوف على خلاصة جامعة مركزة محررة في الموضوع.

ولأن العالم يبين خطأ الاستدلال الذي وقع فيه المردود عليه، فيتنبه القارئ إلى أخطاء الاستدلال فيجتنبها.

ولأن العالم يبين محل السنة والبدعة في هذه المسألة موضوع الرد. فيخرج القارئ وقد تميزت لديه هذه الأمور.

وسبحان من جعل كتاب هذا الدين فرقاناً.

وجعل المعركة الفاصلة معركة بدر يوم الفرقان.

وجعل للمتقين.

{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إَن تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

خلفية علمية (٢٠)

يورد المثال للتوضيح لا للاستدلال والتعليل، فلا ينبغي أن يتعقب بتصحيح الثبوت أو عدمه.

وقد أجاب ابن الصلاح -رحمه الله- على الذين تعقبوه في حياته في بعض الأمثلة التي أوردها في باب الوحدان، بأنه إنما أورد ذلك للتمثيل لا للتعليل، والله الموفق.

خلفية علمية (٢١)

الانتساب للمذهب لا يذم بالشروط التالية:

- أن لا يكون انتسابا إلى مذهب بدعة ومخالف للسنة.

- أن لا يكون على وجه التعصب وعدم اتباع الدليل.

- أن لا يكون على وجه انتقاص الانتساب إلى غيره.

- أن لا يكون على وجه حصر الحق فيه، أو فيه وفي مذاهب معينة فقط.

- أن لا يكون قادراً على البحث والنظر، فيترك ذلك ويستروح إلى التقليد بالانتساب إلى المذهب.

- أن لا يعتقد وجوب الانتساب إلى مذهب.

خلفية علمية (٢٢)

كانوا يراعون عند الكتابة في فن من الفنون أن لا يخلطوه بغيره، حتى إن الرافعي وهو أعلم من النووي بالحديث لما ألف في الفقه لم يورد الكلام على الحديث مع علمه به.

ولما صنف النووي شرح المهذب، وخلط الحديث بالفقه وجمع بين العلوم، سمى كتابه (المجموع). ولما أفرد كتاباً في الفقه لم يخلطه بغيره كما تراه في روضة الطالبين!

وفي هذا السياق ما ذكره الحافظ العراقي (ت٨٠٦هـ) في خطبة تخريجه الكبير لـ (الإحياء): «عادة المتقدمين السكوت عما أوردوا من الأحاديث في تصانيفهم، وعدم بيان من خرّجه، وبيان الصحيح من الضعيف، إلا نادراً، وإن كانوا من أئمة الحديث حتى جاء النووي فبين. ومقصد الأولين أن لا يغفل الناس النظر في كل علم في مظنته، ولهذا مشى الرافعي على طريقة الفقهاء، مع كونه أعلم بالحديث من النووي»[1]اهـ.

قال السيوطي (ت٩١١هـ) رحمه الله: « قد كان الرافعي من كبار أئمة الحديث وحفاظه، وأخبرني من أثق به: أن الحافظ ابن حجر قال: الناس يظنون أن النووي أعلم بالحديث من الرافعي، وليس كذلك، بل الرافعي أفقه في الحديث من النووي، ومن طالع أماليه

(١) بواسطة فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢١/١)).

وتاريخه وشرح المسند له تبين له ذلك. والأمر كما قال»[1]اهـ.

(١) تحفة الأبرار بنكت الأذكار للسيوطي ص٤٣، تحقيق محي الدين مستو، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ).

خلفية علمية (٢٣)

الأرجح يقابله الراجح.

والراجح يقابله المرجوح.

والأصح يقابله الصحيح.

والصحيح يقابله الضعيف.

والأكثر يقابله الكثير.

والكثير يقابله القليل والنادر.

وهذه كلها عبارات يستعملها العلماء في الترجيح؛ لكن تارة يكون ترجيحاً مع صحة المقابل. وتارة يكون ترجيحاً مع رد المقابل.

فالأول من اختلاف التنوع.

والثاني من اختلاف التضاد.

خلفية علمية (٢٤)

ليس كل ما ينسب إلى الإمام من أئمة المذاهب الأربعة، في كتب مذهبه هو قوله!

بل فيها ما هو من قوله بالرواية عنه.

وفيها ما بني على قوله واستخرج منه، بالوجه.

وفيها اجتهادات لكبار ائمة المذهب.

والمذهب ليس هو دائماً ما روي عن الإمام، فقد يكون المروي عن الإمام في المسألة عدة أقوال، فيكون المذهب أحدها بحسب ما اختاره إمام معتبر في المذهب.

ولكل مذهب ميزان في الترجيح بين ذلك فيما يعرف أنه المذهب.

ولذلك ينصون على أن من الكتب المصنفة في المذهب ما لا يعول عليه في معرفة المذهب!

ولذلك اهتم العلماء بذكر ضوابط وقواعد ما يحتاج إليه الباحث ليضبط المذهب.

خلفية علمية (٢٥)

في كل فن كتاب هو الأصل فيه، فابحث عنه وعن شروحه.